دور اللغة العربية في تعزيز وحدة الأمة الإسلامية

صابر علي شيخ *

توطئة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد! فإن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي ممتد من الرسالة المحمدية ومعجزاته الخالدة المتمثلة في نزول القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم هو أول أصل من أصول وحدة الأمة في دينها وهويتها ولسانِها، وقد وصفه الله تعالى بالمبين، حيث قال: (وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (سورة النحل: ١٠٣)، وإن خدمة هذا الكتاب الذي نزل باللسان العربيّ المبين من أول الأهداف التي يتطلع إليها مَنْ استنارَ قلبُه بنور الإيمان.

تعتبر الهوية الإسلامية بجوانبها الدينية واللغوية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية، من أهم عوامل جمع كلمة المسلمين، وتوحيد رأيتهم، فمنذ فجر الإسلام لم يعرف المسلمون عاملا مشتركا أعظم من الهوية الإسلامية، فقد كانوا أصحاب حضارة واحدة رغم اختلاف أحوالهم عروبة وعجمة، وعلما وجهلا، وغنى وفقرا.

أما دور اللغة العربية في تحقيق الصفة الإسلامية فهي أن اللغة ليست مجرد أصوات وألفاظ، ولكن اللغة لسان ثقافة وسياج هوية. فنشر اللغة سيتبعه بالضرورة نشرُ الثقافة الإسلامية التي ستضيئ الطريق أمام الشعوب الإسلامية الباحثة عن هويتها الآن بشكل واضح ظاهر، خصوصا بعد تيارات الهويات البديلة التي فرضت عليها القومية والأممية والاشتراكية وغيرها.

---

* الباحث في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة العالية، كولكاتا، الهند

أما وحدة هذه الأمة فقد تحققت في القديم من وحدة الدين ووحدة اللسان ومن ثم وحدة الثقافة والفكر ووحدة التصور والشعور والوجدان.

نحاول في هذا المقال تسليط الضوء على إبراز عالمية اللغة العربية ودورها المحوري في الحفاظ على الهوية الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية، والتحديات التي تواجهها اللغة العربية وسبل معالجتها.

أولا: طبيعة اللغة ووظيفتها الاجتماعية.

تنبّه ابن جني رحمه الله إلى طبيعة اللغة، ووضع لها حدا، حيث قال في باب القول على اللغة وما هي: "أما حدها فإنها أصوات يعبر كل قوم عن أغراضها."[١]

وقد علق الدكتور محمود فهمي حجازي[٢]. على هذا التعريف بقوله: "هذا تعريف دقيق، يذكر كثير من الجوانب المميزة للغة أكد ابن جني أولا، الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر. وذكر أيضا أنها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم."[٣] وقد ذهب الباحثون المحدثون إلى تعريفات مختلفة للغة العربية كلها تؤكد الطبيعة الصوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية لها، وتنوع البيئة اللغوية من مجتمع إنساني لآخر، ومن هؤلاء اللغويين:

١- فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure[٤] عرف اللغة أنها نظام من الإشارات التي تعبر عن الأفكار[٥]، أي أن لها مسارا محددا من الرموز المكتوبة والإشارات التي تقابل الأصوات المنطوقة.

---

[١] ابن جني: الخصائص (٣٣/١).

[٢] أستاذ علم اللغة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ عام ١٩٩٩م.

[٣] محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، الجزء الأول (ص: ٩)

٤ هو عالم لغوي سويسري شهير ويعرف بأنه الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات فيما عده كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث وتوفي سنة ١٩١٣م.

-2جورج ليونارد تراجر George Leonard Trager[٦] عرف اللغة بأنها نظام من الرموز الاجتماعية المنطوقة المتعارف عليها، وهي رموز صوتية، يتفاعل بواسطتها أفراد مجتمع ما في ضوء الأشكال الثقافية الكلية عندهم.[٧]

فالتفاعل(INTARACTION) هنا هو الهدف، والتفاعل كما نعلم درجة أعلى من الاتصال، لأنه لا يحقق المشاركة بمجموعة من الحواس، كالرؤية والسمع، فإذا كان الاتصال مجرد نقل فكرة من طرف إلى آخر، فإن التفاعل يعني المشاركة الوجدانية، وهي تمثل درجة أكبر من الاتصال ويتعدى حدوده لذلك نستطيع أن نقول بأنّ اللغة حديثا هي نظام متكامل مكوّن من مجموعة عناصر، هي المكوّنات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والرمزية المعبّرة عن فكر الإنسان، وحالته النفسية والوجدانية، وهي مكتسبة نامية متطورة بتطور الإنسان. ولذلك يرى البعض أن اللغة تشبه الكائن الحي، فهي تتنفس وتنمو وتكبر وتترعرع وتشبّ وتشيخ، وقد تموت إذا لم تتوفر لها عوامل الديمومة والبقاء والاستمرارية، وكل ذلك مرهون بتغير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، فعند ما يتطور المجتمع فكريا وحضاريا وانتاجيا، تتطور اللغة والعكس، ولذلك نجد أن اللغة في البيئة البدوية من حيث استخدام الأساليب تختلف عنها في المدينة الحضارية.

إن اللغة العربية هي من أقدم اللغات وأغناها على الإطلاق، لأن أول الناس آدم عليه السلام على القول الراجح تكلم بالعربية، وذلك استنباطا من نصوص القرآن عند المفسرين والأحاديث التي جاءت عن خلق أبينا آدم عليه السلام. فقد

---

٥ فردينان دي سوسير: علم اللغة العام (ص: ٣٤)

٦جورج ليونارد تراجر George Leonard Trager كان عالما لغويا أمريكيا، و كان رئيسا للجمعية اللغوية الأمريكية، توفي عام ١٩٩٢م.

٧ الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية: http://www.academia.edu

علم الله تعالى آدم الأسماء كلها حيث قال الله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا).[٨]

ثم جاء في الحديث أنه لما نفخ الله تعالى الروح في جسد آدم عطس آدم ثم قال الحمد لله. ثم علمه الله تعالى كيف يلقي السلام على الملائكة فحياهم بقوله السلام عليكم .[٩]

فهذان اللفظان "الحمد لله" و"السلام عليكم" عربيان أصيلان، ما يدل على عربية لسان أبينا الأول.

قال ابن حزم: ولا ندري أي لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها أولا، إلا أننا نقطع على أنها أتم اللغات كلها، وأبينها عبارة، وأقلها إشكالا، وأشدها اختصارا، وأكثرها وقوع أسماء مختلفة على المسميات كلها المختلفة من كل ما في العالم من جوهر أو عرض.[١٠]

ثانيا: عالمية اللغة العربية:

وكانت اللغة العربية قد بلغت قبل البعثة المحمدية أوج كمالها في التعبير البليغ السامي عن جميع مقوّمات الحياة، وتربعت على ذروة المجد في الفصاحة والبلاغة والنتاج الأدبي شعرا ونثرا، وظهرت روائع انتاجها في الأشعار والأمثال والقصص والحكم والخطب، وبهذا التوصيف أستطيع أن أقول بأنها شاعت العربية على أنها لغة قومية، فوحّدت كيان العرب في شبه الجزيرة العربية، وميزتهم عن غيرهم من الشعوب والقبائل ومع نزول القرآن بهذه اللغة، ارتفع شأنها، وأصبحت اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين كافّة.

وإن للغة العربية فضلا كبيرا على نشر حضارة الفكر العربي الإسلامي، وتقدم العلوم والفنون المتنوعة والآداب المختلفة، ولأجل القرآن الخالد ظهرت

٨ سورة البقرة، الآية: ٣١.
٩ أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، والبزار (٨٤٧٨)، بسند صحيح.
١٠ ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، المجلد الأول (ص: ٣٥٤).

علوم القرآن كلها، كما ظهرت علوم اللغة والنحو والصرف، والبلاغة التي كانت أساسا لتفسير نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ليسهل فهمها وتبين مقاصدها، ومن أجله أيضا ظهرت علوم منهجية، مثل علوم التاريخ والأخبار والأسانيد وغيرها، كما تقدمت تطبيقا لتعاليم القرآن والحديث علوم كثيرة، مثل الرحلات والجغرافيا والسير، واستحدثت علوم الطب والكيمياء والاجتماع وعلوم أخرى تابعة لدراسة القرآن والحديث، مثل التجويد والتلاوة والدراية والرواية إلى جانب علوم عديدة إسلامية.[١١] وبهذا التوصيف انتقلت اللغة العربية من القومية القُطرية إلى الكونية العالمية، ولنا أن نتأمل في هذه الآيات القرآنية (وَمَا أرْسَلْناكَ إلَّا رَحْمةً لِّلْعالِمِيْنَ).[١٢] وقوله تعالى: (وَمَا أرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ) .[١٣]

وقوله سبحانه تعالى: (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُوْلًا) .[١٤]

ولأسرار وحكم بالغة يعلمها خالق البشر، حيث اختار الله سبحانه وتعالى هذه اللغة وعاء لكتابه الخالد، كما أشار إليه قوله (وإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ ربِّ الْعَالَمِينَ❖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ❖ علَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَربِيٍ مُبِينٍ).[١٥]

كل هذه الآيات تشير إلى عالمية اللغة العربية. بعد أن كانت توصف بأنها لغة قومية، وذلك بفضل انتشار الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، ودخول الناس في دين الله أفواجا، الأمر الذي يحتم عليهم تعلم اللغة العربية، حتى يستطيعوا فهم دينهم الإسلامي الجديد وتعاليمه السمحة البيضاء،

١١ حسين سليمان قورة: دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية (ص:٢١ – ٣٩)
١٢ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
١٣ سورة سباء، الآية: ٢٨.
١٤ سورة النساء، الآية: ٧٩.
١٥ سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

ونستنبط عالمية اللغة العربية من خلال ربط دلالة الآيات بعضها ببعض، فكل نبي أو رسول جاء بلسان قومه، وهو مخصوص في زمان ومكان محددين، إلا رسول الله محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول العالمين، الذي جاء بلسان العالمين، فكان رحمة للعالمين، وأرسل للناس كافة، فالزمان والمكان مفتوح لا نهاية له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن اللغة العربية تتجاوز الحدود والسدود والقيود، والأجناس والأعراق والألوان، للزومها أصلا لأداء المناسك الدينية، كالصلاة التي لا تصح إلا بتلاوة القرآن، وتلاوة القرآن لا تصح إلا باللغة العربية ويتضح من هذا مدى حيوية اللغة العربية، معظم طاقتها، ولما تمتاز به من قوة بيانها، وأصالة ألفاظها وأصواتها، وموسيقى كلماتها، ووفرة مفرداتها، وجمّة معانيها.

تقول عائشة بنت الشاطئ: "ليست اللغة العربية كمجرد مادة يتعلمها التلميذ، ويؤدي الامتحان فيها بمستوى أو بآخر ولكنها مجلى أصالته ولسان قوميّته الذي يصله بتاريخ أمته وتراث آبائه وأجداده، ويتجاوب به فكريا مع أبناء وطنه..."[١٦]..

ولما كانت العلوم الإسلامية كلها تقوم على المبادئ القرآنية والسُنّة النبوية فلا بدّ أن نغترفها من مناهلها الفيّاضة الأصلية، من النصوص القرآنية والسنة النبوية، فلا يتحقّق هذا الهدف المنشود إلاّ عن طريق اللغة العربية التي هي وعاؤهما الأصلي، وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن وجدنا أن اللغة العربية هي مركز الانطلاق إلى رياض القرآن، إذ جاء فيه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

١٦ عائشة بنت الشاطئ: لغتنا والحياة، ط. الثانية، عام ١٩٩١م، دار المعارف، القاهرة (ص١٩٢)

تَعقِلُوْنَ).[١٧] وأيضا (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ).[١٨] و قال أيضا (أَفَلَا يَتَدَبَّرُوْنَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوْبٍ أَقْفَالُهَا).[١٩]

لا يخفى على ذي لبّ ما للغة العربية من أهمية عظمى، في كونها لغة كتاب الله العزيز والسنة النبوية المطهرة، وكونها جزءا من ديننا الحنيف، بل لا يمكن أن يقوم الإسلام إلا بها، ولا يصح أن يقرأ القرآن إلا بالعربية، وقراءة القرآن عبادة وركن من أركان الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام.

وإن خدمة كتاب الله العزيز والحديث النبوي الشريف الّذَين نزلا باللسان العربي المبين، من أول الأهداف التي يتطلع إليها من استنار قلبه بنور الإيمان. ولهذا عني كثير من العلماء في مختلف العصور بتناول أسلوبه بالدراسات اللغوية بكل مستوياتها: الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية والدلالية، والأسلوبية والكتابية. فتنورت دراساتهم بأنوار الكتاب والسنة، وتعطرت بنفحات شذا أسرارهما، إذ هما في مضمار الفصاحة والبلاغة يعتلي الذروة، ويتربع على القمة. وهما المرجع الصادق الذي يرجع إليه العلماء لمعرفة الصواب والخطأ في قواعدهم، وقضاياهم التي تحدد مصير وحدة الأمة الإسلامية.

إن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي ممتد من الرسالة المحمدية ومعجزاته الخالدة المتمثلة في نزول القرآن الكريم، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ، وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي، بل إن اعجاز القرآن منوط باللغة العربية، وإن اللغة العربية بطاقتها و غزارتها وثراء تراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم والترابط بين الشعوب المسلمة في كل زمان ومكان، وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية

١٧ سورة يوسف، الآية: ٢.
١٨ سورة فصلت، الآية: ٣.
١٩ سورة محمد، الآية: ٢٤.

والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها، وإن الوحدة الفكرية بين المسلمين كافة، تؤدي دورا مهما في هذه المرحلة الحرجة الخطيرة التي يمر بها العلم العربي والإسلامي من تمزق وتشتت، وتنافر وتناحر، والاقتتال بين الطوائف والأحزاب والجماعات للشعب الواحد، هذا الدور الريادي الذي يعيد الأمة جمعاء إلى جادة الصواب، من خلال تمسكها بلغتها الرصينة وقواعدها الأصيلة التي أخذت عن العرب الأقحاح أرباب اللغة الذين نقلوا لنا اللغة عن طريق الكثرة الكاثرة من كلام العرب قديما وحديثا.

إن دراسة القرآن والحديث تحتاج إلى اللغة العربية لما فيها من معاني سامية، ومفاهيم أصلية. وإذا حاولنا أن نقدم معاني القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية مترجمة إلى اللغات الأجنبية، فسوف تعوزها روح الأصلية، وتسلبها قيمتها التعبيرية والوجدانية، بل وستفقد النصوص المنوط بها إعجاز القرآن وروعتها، وكذلك غزارة المعاني التي تمتاز بها اللغة العربية. ولذلك صدق من قال: " إذا كان التدريس في قارة الهند باللغة العربية، نشأ فيها المفسرون والمحدثون، وإذا صار التدريس باللغة المحلية نشأ فيها المؤولون ومنكرو الحديث".

ثالثا: التحديات التي تواجهها اللغة العربية:

لا شك أن اللغة العربية قد تعرضت إلى هجمة شرسة عبر العصور ومر الدهور من أعداء العرب والمسلمين، فقد حاول الاستعمار تحطيم اللغة العربية والقضاء عليها بشتى الوسائل والطرق لأنها هي الوسيلة التي تحل لواء الإسلام فكان يريد هدم الإسلام عن طريق هدم اللغة العربية، كما تعرضت اللغة العربية إلى كرة خطيرة أخرى من المستغربين من أبناء جلدتها في أوائل القرن العشرين، فقد دعوا إلى استخدام اللهجة العامية بدلا من الفصحى، كما دعوا أيضا إلى استبدال الحروف الهجائية العربية بالحروف اللاتينية، ولم يقفوا عند هذا الحد بل دعوا إلى استخدام اللغات الحية بالمدارس والمعاهد كالإنجليزية والفرنسية بدلا من العربية، وكانت دعاوي المستغربين من أبنائها أن اللغة

العربية لا تستطيع استيعاب العلوم المتنوعة والفنون المتفرقة والمصطلحات العلمية الحديثة.

وفي أواخر التسعينيات من القرن العشرين ومع ظهور ما يسمى بعصر العولمة (Globalization) بدأت تظهر تحديات جديدة للغة العربية لكنها لا تقل خطرا عن التحديات السابقة بل ربما تفوق عليها.

فإن التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية كبيرة شديدة، حيث ترتكز على استهداف الأمة الإسلامية في لسانها ولغتها وهويتها وتراثها الفكري، من خلال الغزو الفكري والثقافي الذي أصبح معلنا لا يخفى على ذي بصيرة، وهو واضح أمام كل من كان له قلب سليم أو ألقى السمع وهو شهيد. وقد تعرضت كثير من لغات العالم خاصة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية للغزو والاجتياح والانزياح أمام قوة اللغات الأوروبية بفعل التمدد الاستعماري التوسعي، ممثلة باللغة الإنجليزية والفرنسية على وجه الخصوص، وأمام هذا الاجتياح تهاوت لغات كثيرة، بل اندثرت وتلاشت وماتت. وقد قدرتها منظمة اليونسكو بأكثر من ثلاث مائة لغة. كما ضعفت لغات أخرى ومنها اللغة العربية التي زحف بعض أبنائها لكتابة الحروف اللاتينية على واجهة بعض المحلات التجارية، وكتابة أسماء المدن بالحروف اللاتينية في العالم العربي، بل ولجأ بعض الناس من أبناء عروبتنا إلى استخدام الحروف اللاتينية ونطقها باللغة العربية في المحادثات والمنشورات والتعليقات عبر وسائل التواصل الاجتماعي المعاصرة وتطبيقاتها المختلفة، مما يشكل ظاهرة مريبة لا تليق بأمة تحرص على لغتها أن تكون نقية خالصة مستقلة بذاتها وهويتها، وبالرغم من هذا الانزلاق والانحراف إلا أن اللغة العربية حافظت على نفسها من الضياع أو التلاشي والذوبان أمام الغزو الفكري والثقافي. كما استطاعت اللغة العربية أن تواكب كل جديد، فانفتحت على ثقافات العالم المختلفة والعلوم والفنون المتنوعة.

وبذلك فهي تمتلك مقومات الصحة والقوة والقابلية للتطور، لاستيعاب المعارف والعلوم والفنون كافة، لذلك وجدنا كثيرا من العلماء غير العرب كالفرس والترك والروم الذين استخدموا اللغة العربية في العلوم كافة كالطب والرياضيات والفلكيات. ولم يقتصر الأمر على علوم الدين واللغة. لأن مفهوم العربية وثقافتها تجاوزت الجنس العربي إلى ثقافة الوحدة الإسلامية، وهي الدائرة الأوسع في تجمعها وعددها، ومن هؤلاء العلماء سيبويه والجرجاني والزمخشري والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن خلدون وابن رشد والسيوطي والجاحظ وغيرهم.[٢٠]

ما أحسن ما أنشد شاعر النيل وشاعر المجتمع حافظ إبراهيم بك:

رَمَوني بِعُقمٍ في الشَبابِ وَلَيتَني ... عَقِمتُ فَلَم أَجزَع لِقَولِ عُداتي
وَلَدتُ وَلَمّا لَم أَجِد لِعَرائِسي ... رِجالاً وَأَكفاءً وَأَدتُ بَنات
وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظاً وَغايَةً ... وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ ... وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ ... فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفات
فَيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِني ... وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الدَواءُ أَساتِ
فَلا تَكِلوني لِلزَمانِ فَإِنَّني ... أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحينَ وَفات
أَرى لِرِجالِ الغَربِ عِزّاً وَمَنعَةً ... وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ
أَتَوا أَهلَهُم بِالمُعجِزاتِ تَفَنُّناً ... فَيا لَيتَكُم تَأتونَ بِالكَلِماتِ.

فلا جرم أن كتاب الله العزيز والحديث الشريف كانت لهما آثار سامية على اللغة العربية وعلومها، لولا القرآن الكريم والحديث الشريف لضاعت العربية الفصحى.[٢١] بل لم يمر على العربية حدث أعظم من الإسلام ونزول

٢٠ القول للدكتور نايف خرم، الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية.
٢١ الدكتور عبد العال مكرم: القرآن وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، بحيث جعل هذا الحدثُ اللغةَ العربية لغةً مرغوباً فيها، لا لِنفوذها السياسي، ولا لِسَبْقها الحضاري، وإنما لمكانتها الدينية، إذ تسامى أهل البلاد المفتوحة إلى تعلم العربية والعناية بها من أجل تحقيق العبادة، ومن أجل تلاوة القرآن، ومن أجل فهم النصوص الشرعية، فكان جزاء ذلك نشوء علوم اللغة العربية من نحو وصرف ولغة ومعجم وأدب وبلاغة، كل ذلك وجد ليقوم عليه دروس اللغة العربية قويّة، وصار هذا الأمر في حسّ المسلم عقيدةً وواجبا شرعيا.[٢٢] كما كانت للحديث النبوي الشريف آثار رائعة في الدراسات اللغوية والأدبية.[٢٣] وكان لشريعة الإسلام الغراء دور كبير في انتشار اللسان العربي. ومع ذلك فإن فهم الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة بات يتوقف على مدى الإحاطة باللغة العربية وعلومها، من المبادئ الأولية التي يتلقنها متعلمو اللغة العربية عامة والنحو خاصة في دروس الأجرومية الأولى أن ثمرته هي صيانة اللسان عن الخطأ في الكلام العربي، وفهم القرآن الكريم والحديث النبوي فهما صحيحا، اللذين هما أصل الشريعة الإسلامية، وعليها مدارها.[٢٤] وهو السر في استكشاف الأحكام والحِكم، وارتشافهما من نبعَيهما الصافيَين، إذ لا ينضبان، وذلك سار في تعاريج علوم الشريعة أو معظمهما.

يقول الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر: "إذا كانت اللغة هي خزانة الفكر الإنساني، فإن خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنساني، وعن النفوس الإنسانية ما يعجز عنه سائر اللغات، لأنها صفيت منذ

---

٢٢ حسن تمام: مقالات في اللغة والتربية (١/١٢-١٣).

٢٣ الدكتور محمد ضاري حمادي: الحديث وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الطبعة الأولى،١٩٨٢م، منشورات اللجنة العربية، بغداد، العراق (ص:١٨٧)

٢٤ محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، الطبعة الرابعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر عام ٢٠٠٨م، (ص: ٢٤٣)

الجاهلية الأولى، المغرقة في القدم من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية، ومن العلل الغالبة.

حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله بن إبراهيم خليل الرحمن أخذها، وزادها نصاعة وبراعة وكرما، وأسلمها إلى أبنائه من العرب، وهو على الحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم، فظلت تتحدر على ألسنتهم مختارة مصفاة مبرأة، حتى أظل زمان نبي لا ينطق عن الهوى، فأنزل الله بها كتابه بلسان عربي مبين، بلا رمز مبني على الخرافات والأوهام، ولا ادعاء لما لم يكن، ولا نسبة كذب إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا.[٢٥]

ولقد تحدى هذا الكتاب المبين قوما ملكوا ناصية الفصاحة، وفنون الكلام، أن يأتوا بسورة من مثله فأبوا، وبهرتهم آياته الساحرة من حيث البيان حتى قال الوليد بن المغيرة أحد رؤساء مكة المكرمة حين وقته لما سمع بعض آيات الكتاب العزيز، يصف فيه القرآن الكريم وبلاغته، وهي كناية عن عذوبة ألفاظ القرآن الكريم وجزالتها وحلاوتها وقوة تركيبه وسمو معانيه، وأخذه بمجامع القلوب وعلوه على كل كلام.

جاء ذلك في كتب السيرة والسنة، فمن ذلك ما رواه الحاكم وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا! قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فو الله، ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن

٢٥ أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط. الثالثة، ٢٠٠٥م، مصر (ص: ٤٣٦)

أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه! قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: (إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) يأثره عن غيره، فنزلت الآية: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً...) (سورة المدثر:١١).[٢٦] كيف لا!؟ وهو أحق بها وأهلها، والحق ما شهد به الأعداء! إنه كان بإزاء حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تزيده تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلا محبة، ولا يزال غضا طريا. وغيره من الكلام. ولو بلغ في الجودة والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد، ويعادى إذا أعيد. لأن إعادة الحديث على القلب أثقل من الحديد.[٢٧] بل قال الإمام الزهري: "إعادة الحديث أشد من الصخر".[٢٨]

وقال سهل بن عبد الله: " لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أن ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله على قلبه، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة".[٢٩] قال بعض العلماء: "ما جهل الناس، ولا اختلفوا، إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس..... ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا

٢٦ مستدرك الحاكم: وقال سنده على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي، السيرة النبوية لابن هشام (٢٦١/١).
٢٧ السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢٤٤/١)
٢٨ الجاحظ: البيان والتبيين (١٠٤/١)، ابن قتيبة الدينوري: عيون لأخبار (١٧٩/١)
٢٩ الواحدي: البسيط في التفسير (٢٣٦/١-٢٣٧)

على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال، لا على مصطلح اليونان ولكل قوم لغة واصطلاح".[٣٠]

الجهل بأساليب اللغة العربية نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها، وكان ذلك سببا في إحداث ما لا يعرفه الأولون.[٣١] وقال حبر الأمة الإمام الحسن البصري التابعي: عندما سئل عن سبب الضلال: "إنما أهلكتهم العجمة".[٣٢]

رابعا: العناية باللغة ضرورة للحفاظ على هوية الأمة ووحدتها.

الحفاظ على الهوية بكل ما تشتمل عليه من دين ولغة وتاريخ وثقافة وعادات وتقاليد يعني الحفاظ على الذات من الذوبان في التيارات الوافدة علينا، والعولمة قد تجر إلى ذوبان الخصوصية والانتقال من الخاص إلى العام ومن الجزئي إلى الكلي، ومن المحدود إلى الشامل ومن غير المتعين إلى المتعين. وعلى خلاف ذلك يأخذ مفهوم الهوية اتجاها متقاطبا كليا مع مفهوم الشمولية والعمومية.

فالهوية انتقال من العام إلى الخاص ومن الشامل إلى المحدود ومن غير المتعين إلى المتعين. فمفهوم الهوية يبحث عن التمايز والتباين والمجسد والمشخص والمتفرد والمعين، أما العولمة فهي بحث لا ينقطع عن العام والشامل والمجرد والمتجانس واللا محدود.[٣٣]

---

٣٠ السيوطي: صون المنطق والكلام (ص: ١٥)، ونسبت إلى الإمام الشافعي، والصواب أنها ليست له. انظر: سير أعلام النبلاء (٧٤/١٠)

٣١ الشاطبي: الاعتصام (٢٩٣/٢-٣٠٢).

٣٢ الشاطبي: الاعتصام (٨٠٥/٢).

٣٣ الدكتور علي وطفة: تصدعات الهوية وعزائمها قراءة في جدل الهوية والعولمة (ص: ١٠٥).

ولما تحوزه اللغة من أهمية كبرى في الحفاظ على الهوية للحضارة العربية، لم يستطع أحد من الباحثين رغم اختلاف توجهاتهم أن يسقطها من أركان الهوية، فالنهضة الحضارية انطلقت في القرن التاسع عشر مستلهمة الفيض الروحي، فأقامت تصورا للهوية عناصر الدين واللغة والتأويل وهذا التأويل مداره النص والتاريخ. وامتد هذا الاستلهام بدفقه على مدى القرن العشرين حتى أصبحت تلك الثلاثية عقدا جامعا للصحوة مهما اختلفت النخل والأجناس، وانعطف على ذلك التصور لأركان الهوية تصور قومي، أول كانت دعائمه النسب واللغة والدين والنسب هو الارتباط السلالي المعروف بالعرق أو الجنس ثم تبلور تصور آخر أبقى على النسب واللغة ولكنه استبدل بالدين الانتماء إلى التاريخ حتى يقحم في الفلسفة النضالية أبناء كل المعتقدات، وإذا باللغة هي الركن الوحيد القار الذي يتوافر بين النظريات الثلاث.[٣٤]

كانت اللغة إحدى مكونات الهوية لأي حضارة إنسانية، فإن اللغة العربية دون شك من أهم مكونات الحضارة العربية الإسلامية، فمنذ فجر تاريخ هذه اللغة العربية لم ينقطع حتى الآن استعمالها في الألسن الناطقة بالضاد، وساعد على استمرار هذا الوجود، ذلك التراث الأدبي العظيم وفي قمته القرآن العظيم، تلكم المعجزة البيانية الخالدة التي كفلت للفصحى طول العمر، كما منحتها استقرار في الصورة اللفظية والتعبيرية على مدى القرون.[٣٥]

ومن هنا تتضح أهمية الحفاظ عليها والعناية بها، فهي رابطة من أقوى الروابط بين أبناء الأمة الإسلامية، ولولا اللغة العربية ما تواصل عجمي بعربي، ولا عربي بعجمي، ولولاها ما انتفع العجمي بالتراث العربي ولا العربي بالتراث

---

٣٤ الدكتور عبد السلام المسدّي: الهوية اللغوية ورياح السياسة (ص: ٨٣)

٣٥ هنري فليش: العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، دار المشرق، بيروت، لبنان (ص: ٩)

العجمي، فهي جامعة الأمة الإسلامية في وعاء الوحي السماوي وحافظة الحضارة العربية الإسلامية في أزهى عصورها.

ومن ناحية أخرى فإن نشر اللغة العربية بين الشعوب الإسلامية في مقدمة الوسائل الفعالة التي تساعد على إيجاد التقارب الفكري بين أبناء الأمة الإسلامية، لأنها تحمل في طياتها القيم الروحية التي يمنحها الإسلام لكل مسلم، كما تكمن فيها روح الألفة والمودة والأخوة التي تربط بين قلوب المسلمين برباط وثيق، ولهذا قال بعض المحللين أن اختلاف اللغة كان هو من أهم الأسباب التي أدت إلى النزاعات بين باكستان وبنغلاديش حتى انفصلت واستقلت بنغلاديش عن باكستان.

ومن المعروف أن باكستان استقلت عن الهند عام ١٩٤٧م، ولأن استقلالها كان مصبوغا بصبغة إسلامية، فقد عنيت بالعلوم الإسلامية واللغة العربية منذ بداية الاستقلال، وكيف تتحقق لها هويتها التي استقلت على أساسها دون أن تستعيد اللسان العربي الذي عمل الاستعمار الإنجليزي على طرده من شبه القارة الهندية أو حصره في زوايا ضيقة؟

ولعل هذا هو ما جعل باكستان التي كانت تتكون عند قيامها من باكستان وبنغلاديش معا، تتعامل منذ قيامها مع اللغة العربية لأنها قضية هوية، فمنذ أن استقلت باكستان كان في نية زعمائها أن يجعلوا اللغة العربية لغة البلاد الثانية، فأعلن قائد باكستان ومؤسسها محمد علي جناح: "إن اللغة الأردية هي اللغة الرسمية لباكستان، ويجب على الباكستانيين أن يتعلموا اللغة العربية حتى يتمكنوا جميعهم من التكلم والتعلم بها مستقلا".[٣٦]

وقد أشار إلى ذلك الدكتور إحسان حقي قائلا: "وقد جاء يوم على باكستان في أول عهد استقلالها، كادت اللغة العربية فيها تكون لغة البلاد

٣٦ إبراهيم سمير عبد الحميد: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان(ص: ٧٩)

الرسمية، لو لا أن وقف في هذا السبيل بعض قصيري البصر والبصارة أو بعض أصحاب الأغراض. ولو تمت هذه الخطوة لما كانت وجدت القضية البنغالية، ولما كان أعداء الإسلام استطاعوا أن يقضوا على الوحدة الباكستانية بسبب اختلاف اللغة بين الأردية والبنغالية، ولكنها خطة مرسومة لم يتنبه لها الذين حاربوا فكر تعريب البلاد".[٣٧]

ونظرا إلى هوية باكستان اللغوية والثقافية، أوصت ندوة اللغة العربية الوطنية بجامعة بنجاب، لاهور (٣١ مارس ١٩٨٨م) بجعل اللغة العربية لغة باكستان الرسمية والوطنية مع اللغة الأردية.[٣٨]

ففي أكثر أنحاء باكستان توجد اللغة الأردية وهي اللغة الرسمية فيها، أما في بنغلاديش فمعظم سكانها لا يتكلمون الأردية ولا يفهمونها حق الفهم، ولا يقرؤونها ولا يكتبون بها. فنشأ اختلاف التضاد والشقاق، حتى شبّت نيران الحرب بينهم بناء على اللغة، فإن كانت في باكستان اللغة العربية، هي اللغة الرسمية ما وصلت النتيجة إلى ما وصلت، والله أعلم وعلمه أكمل وأتم.

وقد منح الله سبحانه تعالى المسلمين هذه اللغة لتحقيق التفاهم والترابط بينهم في إنحاء العالم والأرض كلها. بحيث يسعى كل مسلم أن يقرأها ويفهمها، بل ويتحدث بها، وإنها تعد الوسيلة الأولى لنشر الدعوة الإسلامية، ونلمس ونحس ذلك خلال زيارة بيت الله الحرام حجا و عمرةً، حيث نلتقي بأناس بأجناس شتى، وكلهم يتكلمون العربية لأداء المناسك والشعائر الإسلامية ومن أعظم ما قيل في اللغة إن اللغة لغز كبير حار العلماء في حله منذ آلاف السنين، و أغلب الظن أنهم ما ظفروا من ذلك إلا من بالقليل القليل حتى اليوم،

---

٣٧ ينظر: الدكتور إحسان حقي: باكستان ماضيها وحاضرها(ص: ٣٣٤). وهذا رأي المؤلف فحسب ولا أتفق مع رأيه تماما.

٣٨ الدكتور مظهر معين: حاضر اللغة العربية(ص:٣٢٤)

إن اللغة بحق سر الله في خلقه من بني البشر حيث قال الله عز وجل (اَلرَّحْمَنُ ❖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ❖ خَلَقَ الْإِنسَانَ❖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ❖ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ❖ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ❖ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ❖ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ❖ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ❖ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) (سورة الرحمن: الآية ١– ١٠)

قال بعض المفسرين: "ووضع الميزان أي: العدل، عن مجاهد وقتادة والسدي، أي وضع في الأرض العدل الذي أمر به، يقال: وضع الله الشريعة. ووضع فلان كذا أي ألقاه، وقيل: على هذا الميزان: القرآن، لأن فيه بيان ما يحتاج إليه وهو قول الحسين بن الفضل.

وقال الحسن وقتادة والضحاك: هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض، وهو خبر بمعنى الأمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى: وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ والقسط العدل. وقيل: هو الحكم.[٣٩]

فالميزان هو العدل والقسط والمساواة ولا يقام الميزان في الأنام إلا بلسان البيان وهو لسان القرآن حيث قال الله جل شانه: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِيْنٍ).

ومن هنا يمكن أن نقول إن اللغة العربية تربط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري ولفظي، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي، بل إن إعجاز القرآن منوط باللغة العربية، وإن اللغة العربية بغزارتها وطاقتها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة للتفاهم بين الشعوب المسلمة في كل مكان، وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها، وأن الوحدة الفكرية بين المسلمين تؤدي دورا مهما في هذه المرحلة الحرجة والخطيرة التي يمر بها العالم العربي والإسلامي في توحيد الجهود، ورص الصفوف، وتقوية شوكة المسلمين، ليهابها الأعداء والطامعون في

٣٩ تفسير الآية نفسها من سورة الرحمن، في تفسير القرطبي.

كل مكان وقد كانت ثمرة التمسك باللسان العربي والحفاظ على اللغة العربية واضحة في وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها، معبرة عن سر قوتها المستمدة من كتابها المقدس، لأنها لغة ميسرة سهلة حيث قال الله تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.[٤٠](كما وصفه ربنا تبارك وتعالى بأنه غير ذي عوج فقال (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِيْ عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ.[٤١](فهو يخلو عن التضارب والتناقض والتعارض في الرأي، ولا اختلال فيه بوجه من الوجوه، ولا نقص فيه، ولا في ألفاظه ولا في معانيه.[٤٢]

وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته وهو أبلغ من كلمة مستقيمة، ونزل باللغة العربية تكريما وتعظيما لهذه اللغة، ليتحقق الهدف من هذه الرسالة، وهو لعلكم تعقلون وتفهمون وتعلمون مضمون الرسالة، حيث قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ.[٤٣](أي أنزلناه بلغتكم، كي تفهموا معانيه فهو يستنهض العقل العربي للتدبر والتفكر من جهة أخرى.[٤٤]

واللغة العربية الفصحى كما أنها الرباط الثقافي الذي ربط ولم يزل يربط بين الشعب العربي من المحيط إلى الخليج، فهي كذلك تربط بين ماضي الأمة وحاضرها، وتتميز بكثرة مفرداتها وعذوبة ألفاظها، وبأنها ليست قاصرة على العرب وحدهم فملايين المسلمين في شتى أنحاء العالم يطلبونها لارتباطها بدينهم وثقافتهم الإسلامية.

---

٤٠ سورة القمر، الآية: ٢٢.

٤١ سورة الزمر، الآية: ٢٨.

٤٢ تفسير السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٤٣ سورة يوسف: الآية ٢.

٤٤ تفسير البغوي

وإذا أردنا الحفاظ على هويتنا ووحدة أمتنا العربية الإسلامية، فعلينا أن نحافظ على لغتنا العربية لأنها قوام هذه الوحدة وهذه الهوية، لأن اللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية وما من صراع بشري إلا وينطق في جوفه صراعا لغويا حتى قيل " إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية".[٤٥]

ومن أجل ذلك عمد المستعمرون في شتى البلاد العربية إلى محاولة القضاء على اللغة العربية بكل الوسائل الممكنة لأن هذا هو السبيل للسيطرة التي لم تستطع تحقيقها الجيوش الجرارة وقد عبر عن ذلك بوضوح (بينو) أحد وزراء فرنسا السابقين حيث قال: " لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية".[٤٦]

فالاستعمار كان يعتمد فيما مضى على جيوشه ومدافعه، أما الآن فإنه يعتمد على نشر لغته وثقافته وعاداته وتقاليده، وبذلك تعرضت هوية الأمة العربية لعملية تغيير واسعة النطاق، والوسيلة الأهم لتحقيق ذلك هي اللغة، فإذا ما نسي أبناء العربية لغتهم أو أهملوها، فإنهم دون شك سيكونون أسرى الحضارة التي يتكلمون بلغتها، فلن يعرفوا عاداتٍ غير عاداتها، ولا تقاليد غير تقاليدها، ولا ثقافة غير ثقافتها، وحينئذ سيصبحون مسخا مشوّها لا إلى الحضارة العربية ينتمي، ولا إلى الأخرى ينتسب.

وإن ما يحدث اليوم من إهمال مقوم من أهم مقومات وحدة الأمة والحفاظ على هويتها حدث من قبل، فابن منظور عند ما تحدث عن سبب تأليفه معجم (لسان العرب) تحدث حديث المتحسّر على ما آلت إليه اللغة العربية على ألسنة

---

٤٥ الدكتور نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، ط. عالم المعرفة، الكويت، عام ٢٠٠١م (ص:٢٢٨)

٤٦ انظر: مجموعة من الباحثين: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (ص:٢٣)

أبنائها وما آل إليه أهلها من انصراف عنها وفرحٍ بغيرها فقال " فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة.... وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعدّ لحنا مردودا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير العربية، فجمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهلُه بغير لغته يفخرون وصنعتُه كما صنع نوح الفُلْك وقومه منه يسخرون ".[٤٧]

الخاتمة:

وخلاصة القول إن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهر المحوري، والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية، طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى.

وتلعب اللغة دورا مزدوجا للمجتمع والفرد، فهي بالنسبة للمجتمع وسيلة لصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية، ووصله بأفراده، وربطه بتراثه، وهي للفرد وسيلة في الاتصال بالآخرين، للحصول على حاجاته، والتنفيس عن مشاعره، ثم هي وسيلة التعلم، وقطف ثمرات قرائح الآخرين، والتأثير في أفكارهم، واتجاههم.

وإن اللغة أي لغة، تربط بين أبنائها الناطقين بها فهي جسر التواصل والترابط فيما بينهم، بها يتخاطبون و يتفاهمون، وعن طريقها يتواصلون ويترابطون، ويروون أدبهم ويعرفون تاريخهم وبخطها يحفظون تراثهم، ويخلدون مآثرهم فيعتزون ببطولاتهم وانتصاراتهم، وبهذا تحفظ اللغة العربية وحدة الأمة الإسلامية على مستوى المكان والزمان، ولا يقف الأمر عند هذا الحد فالأمم المختلفة تعمل كل واحدة منها على انتشار لغتها، وكثرة عدد الناطقين

٤٧ ابن منظور: لسان العرب، ط. الثالثة، عام ١٤١٤هـ، دار صادر، بيروت (٨/١).

بها لتحقق لنفسها نفوذا ماديا ومعنويا، ويرجع ذلك إلى ما تحوزه اللغة من أهمية كبيرة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

وإذا أردنا الحفاظ على هويتنا ووحدة أمتنا العربية الإسلامية، فعلينا أن نحافظ على لغتنا العربية لأنها قوام هذه الوحدة وهذه الهوية، لأن اللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبتها نهضة لغوية وما من صراع بشري إلا وينطق في جوفه صراعا لغويا حتى قيل " إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية "

والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا.

مراجع البحث:

١. أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط. الثالثة، عام ٢٠٠٥م، مصر.
٢. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، عام ١٩٨٣م.
٣. الاعتصام للشاطبي، دار ابن عفان، السعودية، عام ١٩٩٦م.
٤. باكستان ماضيها وحاضرها، احسان حقي، الدار السعودية، عام ١٣٩٨ه.
٥. البيان والتبيين للجاحظ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، عام ٢٠١٦م.
٦. تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الحديث بالمدينة الطيبة، عام ٢٠٠٢.
٧. الثقافة العربية وعصر المعلومات، الدكتور نبيل علي ط. عالم المعرفة، الكويت، عام ٢٠٠١م.
٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب المصرية بالقاهرة، عام ١٩٩٨م.
٩. حاضر اللغة العربية، الدكتور مظهر معين، أطروحة الدكتوراة في جامعة بنجاب باكستان.

١٠. الحديث وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الدكتور محمد ضاري حمادي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٢م، منشورات اللجنة العربية، بغداد، العراق.
١١. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بالرياض، عام ٢٠٠٦م.
١٢. دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية في تعليم اللغة العربية، حسين سليمان قورة، دار المعارف بالقاهرة، عام ١٩٨١م.
١٣. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، دار الرسالة العالمية، بالقاهرة، عام ٢٠٠٩م.
١٤. السنية بشرح المقدمة الأجرومية، محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة، الطبعة الرابعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، عام ٢٠٠٨م.
١٥. سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٩٨٥م.
١٦. السيرة النبوية لابن هشام، دار الصحابة للتراث بطنطا، عام ٢٠٠٧م.
١٧. عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ٢٠٠٨م.
١٨. فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، دار الآفاق العربية، بالقاهرة، عام ١٩٨٥م.
١٩. القرآن وأثره في الدراسات النحوية، الدكتور عبد العال مكرم، دار المعارف، بالقاهرة مصر، عام ١٩٦٨م.
٢٠. لسان العرب، ابن منظور، ط. الثالثة، دار صادر، بيروت، عام ١٤١٤هـ.
٢١. اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، إبراهيم سمير عبد الحميد، دار المعارف، بالقاهرة، عام ١٩٩٦م.
٢٢. لغتنا والحياة، عائشة بنت الشاطئ، ط. الثانية، دار المعارف، القاهرة، عام ١٩٩١م.
٢٣. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بالقاهرة، عام ١٩٧٥م.
٢٤. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، عام ١٩٩٠م.
٢٥. مسند البزّار، والمنشور باسم البحر الزخّار، هو من تأليف الحافظ أبو بكر البزار، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٩٩٥م

٢٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٩٨٨م.
٢٧. مقالات في اللغة والتربية، حسن تمام، الناشر: دار عالم الكتب، بالرياض، عام ٢٠١٥م.
٢٨. الهوية اللغوية ورياح السياسة، الدكتور عبد السلام المسدي، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ٢٠٠٠م.

..... ❖❖❖❖❖ .....